

مذكرات حسني صالح الخفش - حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية (مركز الأبحاث في م.ت.ف.، بيروت، ١٩٧٣)

الغالبية ، خلفا لمسامي طه الذي اغتيل في أواخر ١٩٤٧ .

وقد بين المؤلف كيف حاربت الحركة العمالية الفلسطينية - خاصة في الأربعينات - على جبهتين : ضد الاستعمار والصهيونية ، وفي المجال النقابي والطبقي ضد أصحاب رؤوس الأموال مهما اختلفت جنسياتهم . وإذا كان تداخل الكفاح السياسي مع الكفاح النقابي أمرا طبيعيا ، فهو في المستعمرات أكثر الحاحا ، لوتوع الطبقة العاملة تحت وطأة تهر مزدوج ، من الاستعمار ومن الرأسمالية المحلية .

وقد ذكر الخفش أن النقابة الأولى في فلسطين كانت تلك التي انشأها عمال السمكة الحديد في فلسطين عام ١٩٢٣ ، وفي ربيع ١٩٢٥ انشئت « جمعية العمال العربية الفلسطينية » ، التي نجحت - بدورها - في انشاء بعض النقابات . ومنذ عام ١٩٢٧ بدأ مسلسل الاضرابات العمالية في فلسطين . إلا أن النشاط النقابي انحصر - في البداية - في التثقف والدعوة الى وحدة الطبقة العاملة ، والمطالبة بتحصين ظروف العمل ، بمعنى أنه انحصر في الإطار النقابي دون غيره . وكان هذا مفهوما نظرا لحدوث الطبقة العاملة وضعفها وضيق حجبها . وقد أشارت المذكرات الى الدور الذي لعبه ميشيل ميري - وهو شيوعي فلسطيني - في تأسيس « جمعية العمال العرب » في منتصف الثلاثينات ، لمقاومة قانون تهويد العمل ، وهو القانون الذي وضعت الصهيونية ويقضي بطرد العمال العرب من المشاريع اليهودية ، ومحاربتهم في مجالات العمل الأخرى ، وخاصة الحكومية منها . وبين الخفش كيف أدت الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) الى اتساع البطالة بين العمال العرب الفلسطينيين ، وإلى اضعاف الحركة النقابية الفلسطينية بالتالي خاصة بعد اعتقال بعض قادتها . والغريب أن الكاتب لم يشر الى المؤتمر العمالي الفلسطيني الأول الذي انعقد عام ١٩٣٠ ، على أهميته البالغة .

ويرى الكاتب أن المرحلة الثانية من الحركة العمالية والنقابية في فلسطين بدأت في عام ١٩٣٩ وانتهت بالنكبة عام ١٩٤٨ . وأوضح كيف أدى نمو

حجرا جديدا أضانه المرحوم حسني الخفش ، بكتابه ، الى البناء المتواضع من الكتب التي أوتفها أصحابها ومؤلفوها لمعالجة الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية . وفي حدود علمي ، فإن أول كتاب بالعربية عالج هذا الموضوع كان « التنظيم المهني » الذي أصدره الكاتب الماركسي الفلسطيني جبرا نقولا ، عام ١٩٣٥ . وبعده بنحو عشرين عاما اشترك كل من علي خريس وصالح الصفدي في إصدار كتاب « الحركة النقابية العمالية في الأردن » عقدا فيه خلفية تاريخية عن نشأة وتطور الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية ، باعتبار الحركة النقابية في الأردن امتدادا لها . أما كتاب محمد جوهر الذي نشره له ، عام ١٩٦٩ ، اتحاد العمال العرب بالقاهرة تحت عنوان « الحركة العمالية في الأردن » ، فيكاد يكون صورة طبق الاصل لكتاب خريس والصفدي !

وقد يعجب القارئ لاني وضعت مذكرات المرحوم الخفش ضمن الكتب التي أرخت للطبقة العاملة الفلسطينية ، ولم اعتبره ضمن كتب المذكرات ، على ما بين المذكرات وكتب التاريخ من تباين . والواقع أن المرحوم الخفش خرج بكتابه هذا مما عودنا عليه السياسة العرب عند نشرهم لمذكراتهم ، إذ دأب كل منهم على تصوير نفسه وكأنه محور الكون ، وحامي حصى الوطن ، المنزه عن الخطأ ، المتسامح أبدا ، كما ويعمد الى تزيين أخطائه وتلطيف سمعة الآخرين . وهو ما لم يفعله الخفش في مذكراته . بل جعل ما عاصر من الحركة العمالية والنقابية الفلسطينية محورا لمذكراته . وإذا كان تسجيله لتلك الفترة قد أتى موجزا في معظم أجزائه ، مفتقرا الى الوثائق والأسانيد ، فربما عاد ذلك الى ضياع الوثائق الخاصة بتلك الفترة وتسربها من بين أيدي الخفش مرتين ، الأولى عند وقوع النكبة عام ١٩٤٨ ، والثانية بعد خروج الخفش من الأردن عام ١٩٥٧ ، عقب تنفيذ الملك حسين والمخابرات الأمريكية للانقلاب المعادي للحركة الوطنية الأردنية .

وقد حوت المذكرات على بعض الأمور التي ظلت خافية على جيلنا ، مثل انتخاب الدكتور عمر الخليل أمينا عاما لجمعية العمال العربية